

يعيشون بيننا آيات علي العبداء

آيات علي العبداء

1996م - 1416هـ

الأحساء - العمران - الحوطة

يَدَابُ أَرْضَ هَذَا الْقَلْبِ

يَدُسُّ

أَيْنِضُ بِالْحَيَاةِ وَلَا يَحْسُ؟

تَخَشَّبَ مِنْ أَسَاهُ فَمَا تَوَانَتْ

تُغَافِلُهُ مِنَ الْأَقْدَارِ فَأَسُ

عَنِيدُ فِي الْجِرَاحِ قَوِيٌّ صَبِرُ

فَكَمْ "لَا بِأَس" فِي شِكْوَاهِ

بِأَسُ ..!

آيات:

منذ الخنساء في الجاهلية وليلى الأخيلية في العصر الأموي وما تتابع من أسماء لشاعرات في عصور لاحقة كرابعة العدوية في العصر العباسي، وولادة بنت المستكفي في العصر الأندلسي، وعائشة التيمورية في العصر الحديث وصولاً إلى مي زيادة، وفدوى طوقان، ونازك الملائكة في القرن العشرين، والسباق في مضمار الشعر لدى (النساء) يتجدد مع تجدد لغته وأسلوبه... كل شاعرة تسلم مشعل الشعر لمن بعدها، فالشعر لا يموت؛ (لأن الناس لن يتوقفوا عن الحاجة للتعبير عن الأفكار والمشاعر والأحلام، من خلال لغة مشفرة) كما يقول: الشاعر الكوستاريكي، كارلوس بيالوبوس.

ضمن هذا السياق التاريخي لتاء التأنيث في الشعر العربي تأتي شاعرتنا: الشاعرة آيات العبداء التي عبر عنها الشاعر الكبير جاسم الصحيح بأنها (هدية الأحساء الشعرية الثمينة للوطن كله؛ تأتي بشغفٍ فطري لجمال الشعر وفتنة القصيدة).

العبداء من بيئة محافظة تتذوق الشعر وتعنى بالأدب، كانت تتسلل إلى بيوت قوافي النبط منذ الخامسة عشر من العمر، قبل أن تُخالل اللغة فتصطاد شواردها وتوقعَ بفضيح قصائدها وهي بين طالبات الصف الثانوي:

طفلة في العشرين:

برعُ مريّ طفلةُ الماضي تُطيلُ
تُسايقُ منتهيّ
ولاتملُ

وتبحثُ في مدى العشرين عنّي
مُسايلةً
فكيفَ ستستدلُ؟

أراها في سنينِ العُمرِ وجهاً
يؤرّقني
ولكن يستهلُ

أعانقُها بذاكرتي ربيعاً
فيعبقُ سَوسنُ
ويفوحُ فُلُ

هيَ الذاتُ التي ولّيت كأني
بها زيفُ
فهل ليّ عادَ أصلُ؟

أنا مِنها خُلِقتُ وعدتُ وحدي
بأوهامِ المسافةِ أستظلُ

أجوبُ بعثمةِ الأيّامِ
لُغزي يطاردني

فهل في الغيب حلٌّ؟

وأستجدي الطفولةَ ذاتَ حُلْمٍ
ولكنَّ التفاتَ الوقتِ نصلُّ

مُشرِّدَةً بذاتيَ لا طريقُ
إليَّ فإنني عنِّي أضلُّ

ويمضي العمرُ لكن حينَ يمضي
يزيدُ من السنينِ
فلا أقولُ

أنا من طفلةِ الأحلامِ طُهري
فروحيَ في برائتها أـجلُّ

وإن جَرَّت الكهولةُ في دمائي
فقلبيَ رغم ما يحويه
طـفلُ.

(آيات) أنيقة المفردة سلسة الإسلوب عميقة الفكرة طليّبة الدلالة، براعتها في كشف مفاتن اللغة أجبر القصيدة على خطب ودها، حتى طبعت إبداعها على بياض صفحات ديوان الفصحى، وأصبح (الشعر من آياتها).

لها فلسفتها الخاصة في البوح لبحثها عن الذات بشاعرية فائقة العذوبة كهذا النص البديع:

(ضياعٌ باتّساع الخُطى)

تفرّينَ ليسَ الآنَ إلاكِ مَهْرَبُ
فخطوتُكِ الأولى ضياعٌ مُجْرَبُ

على أيِّ دربٍ تستحنّينَ ووجهةً

وقلبك من شَوطِ التَّباريحِ مُتَعَبٌ

فيا فيك في عينيك عودي لأمسها
دليلاً ، فهذي الروح للتَّيِّهِ تُنْسَبُ

وصوتك مُذْ شَاخَ الشَّعورُ ضَلَلْتَهُ
نسيتِ بأنَّ الصَّمتَ بوحٌ مُعلَّبٌ

وكفَّالكِ ليلاكِ التي ما تبدَّلَتْ
فبالدِّمعِ أطرافُ البنانِ تُخَصَّبُ

نديمك هذا الدِّمعِ أقدامِ طامعٍ
بخدِّيكِ يُروى من أساكِ ويُسكَبُ

فيبتلُّ بالآلامِ نِصُّ مُشَاغِبُ
يمرُّ على لَيلِ الشَّتاتِ فَيُنْهَبُ

ومازلتِ رِغمَ اللَّفحِ خَمرَاءَ غُمَّةٍ
فتنهيدةُ النَّسرِينِ عَطْرُ مُهْرَبُ

وإن ضرقتِ بالكونِ الفسيحِ حمامة
فروحكِ يابنتِ النَّهاراتِ أَرْدَبُ

طريقكُ فيكِ الآن ، إن شئتِ جنة
وإن شئتِ كا بوساً إليكِ يُموِّبُ .

رغم خجلها وترددها عن المشاركات على مدى السنوات الماضية إلا أنها بَنَدَتْ قاعده جماهيرية واسعة بعد ظهورها في برنامج المعلقة (فقرة موهبة) عن فئة الشعر الفصيح على فضائية الثقافية mbc في ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٣م بقصيدها "أنثى لاتؤول" ومن وجهة نظرٍ خاصة؛ هذه المشاركة نقطة تحول حقيقية في مسيرتها الشعرية، حيث عرَّفت الشعراء بها، وشدت انتباه النقاد، وحازت على إعجاب لجنة التحكيم...

أبهرت عضو اللجنة د. عارف الساعدي الذي علق بقوله: لا تصدقي من يقول عنك موهبة، أنتِ تجربة. نعم
وهل تكتب مثل هذا النص إلا التجربة:

أنثى لاتؤوّل:

مرهونة° كلّ اللّغاتِ بحتفِها
فاختَر برأَن تليجَ الرّؤى من نرفِها

واعبُر على جُثثِ الغرامِ ولاتخَافُ
أَن تَخُتِمَ الذّكري بندُقطةٍ ضَعفِها

وحَذارِ تأويلَ البنفسجِ لم يعدُ
عِطرهُ يُهرّبُ من غِوايةٍ حَرفِها

لن تبلُغَ المعنى فدونكَ شهقة°
وجحيمُ أسئلةٍ تدورُ بعَصفِها

ما أبدَعَت° مَوتاً يُخلدُها سِوى
قلقِ المجازِ على مَشارِفِ وصفِها

ولكم تشهّاهُ الشعورُ محاوِلاً°
أن يفتدِها أو تجودَ بنصفِها

شفتانِ من هذيانِها طفحتَ فمَـن
سيُريقُ نهرَ البوحِ ساعةَ رَشفِها

أُنثى تُذرّبها اللّحونُ فتننتشي
بالمصّمتِ إن ضاقَ البيانُ لعزفِها

قد أنصجتَها الحادثاتُ فقلبُها

رغم احتضارِ النبضِ آخرُ قطفِها

مرّت ° على عمق الوجودِ كفكرةٍ

بيضاءٍ ما اغتسلت بحُلُكَةِ خوفِها

لكنّها سطعت ° كأوّلٍ دهشةٍ

للأرضِ فرّت من خديعةٍ زيفِها

جاءت ° كأنّ □ أوحى خَطوها

وأسرّ - أسبابَ السّزولِ بكفِّها

ألقت على الأفلاكِ نَظرةً عارفٍ

والكُحلُ سرّ ° فاتنٍ في طَرفِها

هيَ لمحّةُ الغيبِ الأخيرةُ هالِها

ما تستميتُ بهِ لِساعةٍ كَشَفِها

ستظلُّ ° للملكوتِ آيَتهُ التي

لا لغوً يأتي بَعثةً من خَلْفِها .

الشاعرة آيات يستهويها الشّعر بكل أشكاله كما صرحت في لقاءٍ لها مع صحيفة شاهد الآن الإلكترونية،

لكن ترى نفسها أكثر في القصيدة العمودية؛ رسالتها نشر الحب والسلام ومحاولة لمس المشاعر وسبر

أغوار الإنسان بما يحمل من همومٍ وآلام.

نتعرف على الشاعرة أكثر بقراءة بعض ما اقتنصناه ° من عصفير قصائدها هنا:

من نصّ (شاي ° وسَكْرَة ذِكرى):

لم أرتشف بَعْدُ

أَخشى سَكْرَة الذِّكرى

تبقى الحكايات °:

شَايَا

لذَّةٌ

تَغْرَا

تَبْقَى الحَايَاتُ شَايَاً مِنْ سُلَافَتِهِ

تُرَوَّى الأَحَادِيثُ

حَتَّى تَنْتَهِي شِعْرَا

كَأَنْمَا الرَّشْفَةُ الأُولَى بِهِ انْتَبَهَتْ

كِي تُهْرَقَ السَّحْرَ

أَوْ تُغْشَى لَهُ سُرَا

نَعْنَاعُهُ الآنَ يُغْرِينِي كَسُكْرَةٍ

مَتَى سَأَلِقَاكَ

حَتَّى نَمْرُجَ العُمْرَا

كؤُوسُنَا مُتْرَعَاتٌ مِنْ تَلْهُؤُنَا

فَهَلْ نَذُوقُ عَلَى أَطْرَافِهَا صَبْرَا؟

وَهَلْ سَيَبْرُدُ شَوْقُ رُغْمِ حُرْفَاتِنَا

بِأَنْ نُؤَجِّجَ مِنْ أَصْلَاعِنَا الجَمْرَا؟

سَيُملَأُ النِّجْبُ مَنْدًا أَوْ سَنَمْلؤُهُ

مِنَ الغَوَايَاتِ

حَتَّى يَنْتَشِي سُكْرَا

لَسْنَا مِنَ الشَّايِ إِسْلَا بَعْضُ أَبْخَرَةٍ

تَصَاعَدَتِ مِنْ دِمَانَا

زَفْرَةٌ حَرَّيْ

وأطلقَتنا عذاباتٍ موزَّعةٍ

بينَ المساءاتِ

ما أبقت لنا ذِكرا

مُخدَّرونَ ببابِ السُّهدِ

يرقبُنا فجرٌ

ليسرق من آمالنا الفجرا

وتصطفينَا من العشاق خيبتهم

كأنَّما نحنُ من آياتها الكُبرى

عزاؤنا أننَّا نُبقي هزائنا

رهنَ المجازاتِ

حتَّى نخلقُ النِّصرا

ونمنحُ الدِّمعَ أَعذاراً لنسكبهُ

من المحاجرِ

كي لا ينتهي كَسرا

لم أرتشِف بعد أخشى أن يباغتني

وجهٌ يذوَّبُ من أنوارهِ البدرا

يلوحُ للعينِ .. دوءٌ في ملامحهِ

فكم أذابَ الحنايا .. كم .. وكم أغرى

في روحهِ هيبةٌ تُخفي عواطفهُ

فأكبرُ الهمِّ

أن لا يخدشَ الزُّهرا

نصبي الثغرُ إن لاحت عذوبتهُ

سأرشفُ الآن .. تلك السُّكرة الأخرى

ومن نصِّ (فتنة صياحية) نقتطف:
عُصفورة اللّجنِ حطّبي فوق شُرْفتهِـ
□ليبدأ الشُّدو من أصداءِ ضِحكتهِـ

□ولوّني الصُّبْحَ مزهوًّا بما فُتِنَت
□كُلّ الزهور على ألوان سُمرتِهـ
□

□المانِحُ الضُّوءِ دفنًا من أناملهـ
□وحا بيس النسمة الأزكى بوجنتِهـ
□

□لا تطلعُ الشمس إلا حين طلعتِهـ
□أنا ، وقلبي ، وأشواقي .. بدمتِهـ

(ميلاد الهوى)

أضرف لعامكَ هذا عُمري الآتي
سأُشعلُ الآنَ أقمار الصباياتِـ

لنحتفي بالهوى أضعافَ لهفتنا
أضعافَ ما أغرقتُنَا بالمجازاتِـ

إيقاعنا نبضةٌ في القلبِ دافئةٌ
ورعشة الرغبةِ الأولى من الذّاتِـ

سنُولدُ اليومَ مبعوثًا ومُعجزةً
إنّي ارتضيتكَ فاقراً وحيّ آياتي

واقبل هداياكَ من قلبي أُقدمُها
ومن شفاهي ذُق طعم الغواياتِـ

(بكائية أخيرة)

مارلتِ تبيكين ذكراهُم على الطلّالِـ
وتخدعينَ فؤاداَ ماتَ بالأملِـ

هُم جاوزوكِ وغابوا ملاءَ نشوتِهِم
وأنتِ من أجالِ يمضي إلى أجالِـ

يا زهرة البيد والأقدار لافحة
كم غيمةٍ عيّرتكِ اليوم بالبللِ؟

لا تنصرتي لحديثِ النهر قد شمتتِ°
بكِ السواقي وعُدتِ موضعِ الهزلِـ

(آيات) تجربة مختلفة وشاعرة تبرهن أن الشعر لم يزل محلقةً بأجنة شعرائه، ويعيد ثقتنا بحيوية الشعر لدى النساء واستمراريته.

الأستاذة آيات إلى جانب الشعر لها حضورها في الفن التشكلي.
حازت على شهادة دبلوم محاسبة من الكلية التقنية للبنات بالأحساء.
طبع لها نادي خيمة المتنبي ديوانها الأول: (الشعرُ من آياتِها) ضمن برنامج (مجاز أوّل)،
بالتعاون مع دار تشكيل.